دراسة النظر النحوى الكوفى
فى بنية الضميرين "هو" و"هى"
فى ضوء الدرس اللغوى الحديث

دكتور
حازم على كمال الدين
مدرس علم اللغة بكلية الآداب بسوهاج
جامعة أسيوط

تعد الضمائر Pronouns قسما بارزا من أقسام الكلمة (١) The Word . ولذا اهتم اللغويون القدامى بدراستها على المستوى الصرفى والنحوى (٢) ولا يتسع المجال هنا لذكر دراساتهم الصرفية والنحوية عن الضمائر ، بل نكتفى هنا بذكر مسألة صرفية ترتبط بتحديد القالب البنيى للضميرين "هوَ" وهِىَ" .

وتعد هذه المسألة من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، حيث " ذهب البصريون إلى أن الهاء والواو من " هو " والهاء والياء من " هى " هما الاسم بمجموعهما (٣)" .

" وذهب الكوفيون إلى أن الاسم من " هوَ " وهِىَ " الهاء وحدها (٤) " ، ورأى الكوفيين هذا يخالف البنية المشهورة للضميرين ، ولذا آثرنا دراسة

---

(١) انظر : من أسرار اللغة ٢٨٢، واللهجات وأسلوب دراستها ٧١ وأسس علم اللغة ٩٩، وانظر : كذلك كتاب الدكتور تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ١٣٦.

(٢) انظر هذا النوع من الدراسة فى كتب النحاة ، مثل : أوضح المسالك ١٨-٢٢ والتوطئة للشلوبينى ١٨٠-١٨٨.

(٣) الانصاف فى مسائل الخلاف ٦٧٧/٢.

(٤) الانصاف فى مسائل الخلاف ٦٧٧/٢.

رأيهم من وجهة نظر الدرس اللغوى الحديث ، تلك الدراسة التى تقوم على محورين هما :

١- وجهة النظر النحوى [١] الكوفى وبنية الضميرين فى ضوء المنهج الوصفى .

٢- وجهة النظر النحوى الكوفى وبنية الضميرين فى ضوء المنهج المقارن وسنعرض لهذين المحورين على النحو التالى :

١- وجهة النظر النحوى الكوفى وبنية الضمير "هو huwa " فى ضوء المنهج الوصفى :

يتضح من الشواهد التى احتج بها الكوفيون لرأيهم وهى :

أ - قول الشاعر الجاهلى العجير السّلولى :

فَبَيْناهُ يَشرى رَحلَه قالَ قائِلٌ ... لمَن جَمَل رخوِ المِلاطِ نَجيبُ

ب- وقول الشاعر :

بَيْناهُ فى دارِ صِدْقٍ قد أقامَ بها ... حينا يُعَلِّلُنا وما نُعَلِّلُه

جـ- وقول الآخر :

إذاوُسيتِم الخَسْفَ آلى بِقَسَمٍ ... باللّهِ لايأخُذُ إلاّ ما احْتَكَم [٢]

آراد " إذا هو "

أنهم يحرصون على أن تكون دراستهم للظاهرة اللغوية مرتبطة بالواقع

---

(١) لاحظ أن التحليل النحوى عند كثير من المحدثين يراد به تحليل النظام اللغوى أو تحليل بعض مكوناته ، انظر فى ذلك :

- Kenneth.L.Pike and Evelyn.G. Pike, Grammatical Analysis

(٢) الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢/٦٧٨ .

اللغوى ، وهذا المسلك يقترب من المنهج الوصفى الحديث [١] ، الذى يرصد الظاهرة رصدا دقيقا [٢] . الاّ أن هذا الاتفاق لايتضح الاّ بذكر أبعاد هذه الظاهرة ، كما تتمثل فى الواقع اللغوى ، أى أن الأمر يقتضى ذكر البنيات الشكلية التى تمثل الهيكل الفنولوجى لبنية الضميرين " هوَ" و " هِىَ " ، وبذا يمكن تحديد درجة هذا الاقتراب ٠

واذا نظرنا الى الظاهرة التى نحن بصدد دراستها سنجد أن البنيات التى تمثلها فنولوجيا هى :

١- بالنسبة للضمير " هوَ " : تمثله البنيات التالية :

أ- هُ hu كما جاء فى الأبيات التى احتج بها الكوفيون [٣] .

ب- هو hū كما جاء فى بعض القراءات القرآنية لقوله تعالى " لا اله الاّ هو " [٤] .

ج هوَhuwa كماورد فى الشعر الجاهلى ، مثال ذلك قول عنترة العبسى :

لَين يعيبوا سَوادى فَهوَ لى نَسَبٌ ٠٠ يَوْمَ النِّزالِ إذا مافاتنى النَّسَبُ [٥]

وقولة :

يا عَبلَ ان تبكى عَلَىَّ فَقَد بَكَى ٠٠ صدف الزمانِ عَلَىَّ وهو حَسود [٦]

وقول طرفة بن العبد :

فيالَكَ مِن ذى حاجةٍ حيلَ دونَها ٠٠ وماكلُّ مايهوى امرؤهو نائِلُه [٧]

---

(١) انظر : المدخل الى علم اللغة ١٨١

(٢) انظر : المدخل الى علم اللغة ١٨٢، وانظر الحديث عن هذا المنهج :

- H.Gleason,An Introduction to Descriptive Linguistics
- H.Gleason,Workbook in Descriptive Linguistics.

(٣) انظر هذه الأبيات : الانصاف فى مسائل الخلاف ٦٧٨/٢

(٤) كما نسمعها من قراء القرآن ٠

(٥) انظر : شرح ديوان عنترة ١١

(٦) انظر : شرح ديوان عنترة ٥٢

(٧) ديوان طرفة بن العبد ٧٨

واذا نظرنا إلى الحكم الكوفى - بعد العرض الوصفى لبنية الضمير " هوَ " - الذى استند إلى الدليلين التاليين :

١- حذف الواو فى حالة الإفراد ، وقد وردت هذه الحالة فى الشعر الجاهلى (١)

٢- أن الواو تحذف فى التثنية نحو " هما " (٢)

نلاحظ أن الكوفيين بنو حكمهم على أساس أن الضمير ورد فى الشعر الجاهلى مكونا من الهاء - المحركة بالضم - وحدها ، وأن الواو الواردة فى البنية " هوَ " تحذف فى التثنية ، ولكن اغفالهم لبنية الضمير التى وردت فى بعض القراءات القرآنية ، وهى "هو hū " يكشف عدم دقة استقرائهم لأبعاد هذه الظاهرة حيث إن وجود مثل هذه البنية ، يطرح سؤالا مهما لابد من الإجابة عليه ، حتى يمكن الوصول إلى نتيجة دقيقة ، وهذا السؤال هو :

١- أى الصيغ أقدم من الناحية التاريخية ؟

والاجابة على هذا السؤال تجعلنا نعرف عما اذا كان أصل الضمير يتمثل فى البنية التى جات فى بعض الشواهد الشعرية - وهى " هُ hu "، ثم تطورت إلى الصيغه التى أصبحت قياسية فيما بعد ، وهى " هُوَ huwa " ، كما أنها تطورت فى بعض حالات الاستعمال التى وردت فى بعض القراءات القرآنية إلى " هو hū " وذلك عن طريق إطالة حركة الهاء - من الضمة القصيرة إلى الضمة الطويلة -.

أم أن أصل بنية الضمير يتمثل فى الصيغة القياسية " هوَ huwa " ثم تطورت الى الصيغة التى نجدها فى بعض حالات الاستعمال التى نلاحظها فى بعض أبيات الشعر القديم - وهى " هُ hu "، وذلك بحذف الواو - ثم تطورت هذه الصيغة الأخيرة إلى " هو hū " ، وذلك بإطالة حركة الهاء ، كما نلاحظ ذلك فى بعض القراءات القرآنية .

---

(١) سبق أن أشرنا الى هذه الابيات .

(٢) انظر : الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢/ ٦٧٨

والكلام السابق يؤكد لنا أهمية الاستعانة بابعاد المنهج المقارن الذى يعد بدوره مرحلة من مراحل المنهج التاريخى (١) .

وجهة النظر النحوى الكوفى وبنية الضمير "هوَ huwa" فى ضوء المنهج المقارن :

ذكرنا فيما مضى أن الكوفيين يرون أن بنية هذا الضمير الاصلية تتمثل فى الهاء وحدها إلاّ أن المنهج الوصفى لم يستطع أن يقدم الأدلة القاطعة على اثبات هذا الرأى ، الأمر الذى أدى الى ضرورة الاستعانة بأبعاد المنهج المقارن .

ودراسة بنية هذا الضمير فى ضوء المنهج المقارن تقتضى ذكر بنيته فى كل لغات الفصيلة السامية التى تنتمى اليها العربية .

وعَرض هذه البنيات يكون على النحو التالى :

اللغات السامية	بنية الضمير بالرموز السامية	بنية الضمير بالرموز اللاتينية
اللغة العربية	هُوَ/هو	hū/huwa
العبرية	הוּא (٢)	hū
الارامية	הוּא (٣)	hū
السريانية	ܗܘ (٤)	hū

(١) انظر رأى بعض العلماء مثل رونالد وردوى Ronald Wardhaugh فى كتابه
- Introduction to Linguistics, P. 182-197.

(٢) فى قواعد الساميات ٢٢ وانظر :
- W.Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of the old testament,P.214.

(٣) فقه اللغات السامية ٨٥

(٤) فى قواعد الساميات ١٨٩ وانظر :
- L. Costaz, Syriac - English Dictionary ,P.74

يتضح من العرض السابق لبنية الضمير فى ضوء المنهج المقارن ، أن البنية الشكلية " هو hū" للضمير فى اللغة العربية أقدم من الناحية التاريخية من البنية " هوَ huwa " ومن هذا نستنتج أن أصل بنية الضمير يتمثل فى الهاء المحركة بالضمة الطويلة الخالصة (١)، وهذا يتفق مع ماذهب إليه الكوفيون ، الاّ أن الكوفيين لم يهتموا بتحديد حركة الهاء الأصلية .

وجهة النظر النحوى الكوفى وبنية الضمير " هِىَ hiya " فى ضوء المنهج الوصفى :

يتضح من الشواهد التى احتج بها الكوفيون لرأيهم، أنهم يحرصون على أن تكون دراستهم للظاهرة مرتبطة بالواقع اللغوى ، وهذا المسلك يعد ركنا أساسيا من أركان المنهج الوصفى ، الذى يرمى فى دراسته للظاهرة إلى تسجيل الواقع اللغوى تسجيلاً أمينا دون تدخل بأى نوع من الافتراض أو التأويل ، والجملة الأخيرة تجعلنا نعرض الظاهرة فى ضوء المنهج الحديث هذا ، حتى يمكن الحكم فى ضوئه على الرأى الكوفى ، هل هو استنتاج علمى استنبطه الكوفيون وفقا لطريقة وصفية دقيقة ، أم أن هذا الرأى يدخل تحت ما يسمى بالافتراض .

وطبيعة الدراسة فى ضوء المنهج الوصفى ، تقتضى ذكر البنيات التى تمثل هيكل الضمير من الناحية الفنولوجية ، وهذه البنيات هى :

١- هِ hi كما ورد فى البيت الذى احتج به الكوفيون ، وهو :

دارٌ لِسُعْدى إِذْ هِ مِن هَوَ اكا (٢)

---

(١) وهذا يدل على أن بنية الضمير التى جاءت فى الشواهد التى احتج بها الكوفيون لرأيهم تعد مرحلة متطورة عن الاصل ، وكذلك تعد الصيغة " هُوَ huwa " صيغة متطورة عن الأصل الذى أشرنا إليه .

(٢) انظر : الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢/٦٨٠

٢- هِيَ hiya كما نجدها في الشعر الجاهلي ، مثال ذلك : قول الشاعر الجاهلي عنترة العَبْسي :

أراعي نجومَ الليلِ وهي كأنها ٠٠ قواريرُ فيها زئبقٌ يَتَرَجْرَجُ (١)

وقول الشاعر الجاهلي ، طرفة بن العبد :

ولقد شهدتُ الخيلَ وهي مغيرةٌ ٠٠ ولقد طعنتُ مجامع الرِّيلاتِ (٢)

فالمنهج الوصفي يقف عند هذا التسجيل الأمين لأبعاد الظاهرة اللغوية، ولا نستطيع من خلاله أن نستنبط دليلا يمكن أن نستنتج بواسطته رأيا يوضح الأصل الأول لبنية الضمير " هي " ، أما الحكم الكوفي الذى يرى أن أصل الضمير هو الهاء ، واستند في هذا الرأى إلى الدليلين الاتيين :

١- حذف الياء في حالة الإفراد ٠

٢- حذف الياء في حالة التثنية نحو " هما " ٠

ولكن هذا الافتراض لابد أن يستعين بالمنهج التاريخي حتى يصل إلى مرتبة النتيجة العلمية الدقيقة ، فالأدلة التي بنى عليها الكوفيون حكمهم ، لا تصبح أدلة منطقية ، إلا إذا وجدت قرينه تدل على أن الصيغة "هِ hi " أقدم تاريخيا من الصيغة " هِيَ hiya " ٠

واستخدام المنهج التاريخي في دراسة مثل هذه الظاهرة يكشف عن ضرورة الاستعانة بمنهج يختص بدراسة مرحلة من مراحله ، ألا وهو المنهج المقارن ، إذ عن طريقه نستطيع معرفة عما إذا كان أصل الضمير يتمثل في البنية " هِ hi " ، ثم تطورت إلى الصيغة التي أصبحت قياسية ، وهي " هِيَ hiya " ٠

أم أن أصل بنية الضمير يتمثل في الصيغة القياسية " هِيَ hiya " ثم

---

(١) شرح ديوان عنترة ٢٩

(٢) ديوان طرفة بن العبد ١٤

تطورت فى بعض اللهجات إلى الصيغة " هِ hi [1] " واحتفظت بهذه الصيغة اللهجية ، بعض الأبيات الشعرية .

وخلاصة القول أن الكلام السابق يؤكد لنا ضرورة الاستعانة بأبعاد المنهج المقارن ، الذى يعد بدوره مرحلة من مراحل المنهج التاريخى .

وجهة النظر النحوى الكوفى وبنية الضمير " هىَ hiya " فى ضوء المنهج المقارن :

ذكرنا فيمامضى أن الكوفيين يرون أن بنية هذا الضمير الأصلية تتمثل فى الهاء وحدها ، الاّ أن الطريقة الوصفية التى سلكوها لم تستطع أن تقدم الأدلة القاطعة على اثبات هذا الرأى ، الأمر الذى أدى الى ضرورة الاستعانة بأبعاد المنهج المقارن .

ودراسة بنية هذا الضمير فى ضوء المنهج المقارن ، تقتضى ذكر بنيته فى كل لغات الفصيلة السامية ، التي تنتمى إليها العربية .

وعرض هذه البنيات يكون على النحو التالى :

اللغات السامية	بنية الضمير بالرموز السامية	بنية الضمير بالرموز اللاتينية
اللغة العربية	هِىَ /هِ	hi/hiya
العبرية	הִיא (٢)	hī
الارامية	הִיא (٣)	hī
السريانية	ܗܝ (٤)	hī

(١) وذلك بحذف الياء .

(٢) فى قواعد الساميات ٢٢ - W.Geseniusm Op. Cit, P. 214

(٣) فقه اللغات لسامية ٨٥

(٤) فى قواعد الساميات ١٨٩ - L.Costaz, Op. Cit, P. 74

يتضح من العرض السابق لبنية الضمير فى ضوء المنهج المقارن أن أصل بنية الضمير فى العربية هو " هى hi [1] " ثم قصرت حركة الهاء فصارت "هـ hi " وهى البنية التى جاءت فى بعض أبيات الشعر العربى ، واحتج بها الكوفيون ٠

وبذا يكشف لنا المنهج المقارن أن الرأى الكوفى فى أصل بنية الضمير " هى hiya [2] " هو الاقرب الى الصواب ، حيث ان الكوفيين لم يهتموا بتحديد حركة الهاء ٠

---

(١) اى الهاء المحركة بالكسرة الطويلة ٠

(٢) وهذا يدل على أن بنية الضمير التى جاءت فى بعض الشواهد الشعرية ، واحتج بها الكوفيون لرأيهم تعد أقدم تاريخيا من الصيغة القياسية " هِىَ hiya " ٠

المراجـــــــــــــع

أولا : المراجع العربيـــة :

١- أسس علم اللغة ماريو باى ترجمة د٠ أحمد مختار عمر ، الطبعة الثانيـة ، عالم الكتب ، القاهرة : ١٩٨٣٠

٢- الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ومعه كتاب الانتصاف مـــن الإنصاف ، دار الفكر ، القاهرة ، (بدون تاريخ)٠

٣- أوضح المسالك لابن هشام ومعه كتاب بغية السالك إلى أوضح المسالـك لعبد المتعال الصعيدى ، مكتبة الآداب ومطبعتهـا بالجماميز القاهرة (بدون تاريخ)٠

٤- التوطئة للشلوبينى ، تحقيق د٠ يوسف أحمد المطوع ١٤٠١هـ ١٩٨١م٠

٥- ديوان طرفة بن العبد ، المكتبة الثقافية - بيروت ، لبنان (بدون تاريخ)٠

٦- شرح ديوان عنترة ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية - بيروت لبنـان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م٠

٧- فقه اللغات السامية لبروكلمان ، ترجمة د٠ رمضان عبدالتواب ، مطبوعات جامعة الرياض ، المملكة العربية السعودية - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م٠

٨٠ فى قواعد الساميات ، د٠ رمضان عبدالتواب - الطبعة الثانية - الخانجى القاهرة ، ١٩٨٣م٠

٩- اللغة العربية معناها ومبناها ، د٠ تمام حسان ، الهيئة المصريـة العامة للكتاب ، القاهرة : ١٩٧٩ م٠

١٠- اللهجات وأسلوب دراستها ، د٠ أنيس فريحه ، معهد الدراسات العربية، العالية - القاهرة ١٩٥٥م٠

١١- المدخل إلى علم اللغة ، د٠ رمضان عبدالتواب ، الطبعة الثانيـــــة ، الخانجي ، القاهرة ١٩٨٣م٠

١٢- من أسرار اللغة ، د٠ ابراهيم أنيس ، طبعة ١٩٥١

ثانيا :المراجع الاجنبية :

1- L. Costaz, Syriac-English Dictionary.

2- W. Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of the old testament, oxford.

3- H. Gleason, An Introduction to Descriptive Linguistics, New York 1961.

4- H. Gleason, Workbook in Descriptive Linguistics, New York 1955.

5- K. L. Pike and Evelyn. G.Pike, Grammatical Analysis " The Summer Institute of linguistics " 1980.

6- R. Wardhaugh, Introduction to Linguistics, University of Toronto 1977.